

جيش الخلاص المصرى

للاستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضاى ، لا تار

فى مدرج كلية الطب بالقاهرة ، وبدعوة من مدرسة الخدمة الاجتماعية فى مناسبة افتتاح هذه المدرسة لستها الدراسية الجديدة ، وقف رجل مشول من أصحاب السلطان ، يعرض برنامجا للإصلاح الاجتماعى فى مصر ، هذا الرجل هو صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية .

كان المحاضر يبدو مرتجلا فى كلمته ، لكنه بدأ غير مرتجل فى تفكيره ، وهذه نقطة جوهرية ، أو هى صخرة متينة من صخور الأساس ، لمن يريد بنق أن يقيم إصلاحا اجتماعيا ثابتا مطردا فى هذا البلد .

قافة الإصلاح الأولى فى بلادنا الارتجال . يقوم الإصلاح عندنا على فكرة عابرة ، فيتغير ويتبدل ثم سرعان ما يذهب ويزول ، بفكرة عابرة كذلك ، ولذا تأخرنا كثيرا فى الوصول إلى غاية ما من الغايات ، لأن الوسائل عندنا كانت دائما مرتجلة ، فنعود بأدئين بعد أن نكون قد أشرفنا على الوصول ؛ ذلك لأن تفكيرنا وتقريرنا وتنفيذنا كان دائما — كما أقول — بطريق الارتجال ! .

لنا إذا أن نظرب ، حين نرى فى مركز صاحب السلطان رجلا له براجم ... ويطربنا ؛ أكثر أن نرى هذه البراجم — وقد فرغ من إقرار صلاحيتها — تأخذ سبيلها العاجل إلى التنفيذ ؛ على أسس رسمية نرجو أن تكون ثابتة مع الأيام .

تكلم معالى الوزير فى موضوع الخدمة الاجتماعية فى مصر ، فشرحها شرحا وافيا ، ونادى بضرورة الإنكار من إنشاء مدارسها . فكان طبيعيا أن يقابل هذا الكلام بكثير من الحماسة ، وهو صاحب الأمر ، فى العمل رسميا لتنفيذ هذا الذى يتنادى معاليه به ، وهو النقادر على تنفيذه لو أن لدى وزارته من الوسائل المادية ما يجعلها مستطيلة تنفيذ هذا الذى يدعو معاليه إليه ، ومن حق هذه الوزارة أن تمكن من هذه الوسائل ، تحقيقا للغرض الأساسى من إنشائها .

لكن لم أظرب لرأى معاليه في ضرورة الإكثار من إنشاء مدارس الخدمة الاجتماعية ، بقدر ما ظُربت لدعوته إلى تدريس العلوم الاجتماعية في المدارس ، وربما كان هذا لأن هذا الطريق هو أقرب الطرق إلى خلق المجتمع المصرى السليم ، خلفنا أقرب إلى الكمال .

ولم يصالح الاجتماعى يلزم أن يبيأ له الرأى العام بكل الوسائل ، ويوجه فيه وجهة واحدة يلتقى فيها بتشريع اجتماعى قائم على عدنية اجتماعية منظمة . تشير هذه العدنية بالأخذ بالضرائب المتدرجة تدرجا معقولا ومناسدا ، وباعفاء الضروريات من الضرائب غير المباشرة والعمل على انعاش الصناعة الوطنية لتكون موردا إلى جانب المورد الزراعى . وإقرار ما يتطلبه هذا الانعاش من شتى النظم المالية والتيسرات المادية التى تشجع الوطنيين على أن يتجهوا بجودهم وأموالهم إلى ميدان العمل الصناعى ، والتى تمهد لهذه الصناعة الوطنية سبيلا صالحة تسير فيها أمنة مطمئنة بين شتى عوامل المضاربات الاقتصادية الأجنبية ، حتى تستطيع أن تقف أخيرا على قدم ثابتة بين غيرها من الصناعات ، محمية بجودتها وبأسعارها المعقولة وبوفرة إنتاجها ، ومحمية مع هذا بنظم رسمية اقتصادية ، تقوم هذه النظم على أساس إحياء هذه الصناعات وحمايتها ، ومحمية أيضا قبل كل شئ ، بروح العزم والإقدام المستلزمة من تنفيذ اجتماعى عام يشمل الوطن المصرى جميعا ، ويمثل مركزا ممتازا في برامج التعليم .

ولاجتدال في أن الخريجين في مختلف المعاهد وشتى أدوار التعليم . هم — كل في حدود بيئته — الموجهون لتفكير الجماعات وأذهان الجماهير ، ففى تنشئة هؤلاء ثقافيا تنشئة اجتماعية سليمة توجه طيب للجيل الحاضر ، وتنشئة سليمة للأجيال المتتامة .

وتحقيق هذا الذى يدعو إليه معالى الوزير يقتضى تحقيق مادعا إليه أولا من ضرورة العمل على الإكثار من مدارس الاجتماعية في مصر . حتى تستطيع هذه المدارس أن تخرج للبلاد حاجتها من الاصلاحيين الاجتماعيين ، اللازمين لمشروعات كمشروع الوحدات الاجتماعية وغيره من مشروعات المؤسسات الاجتماعية وللارمين أيضا لتدريس علوم الاجتماع في مختلف المدارس . وهذا يتطلب أن يكون لدى وزارة الشؤون الاجتماعية من الوسائل المادية ما يمكنها من تحقيق هذا . ومن حقها أن تكون مائكة لما يلزمها من هذه الوسائل .

لكن تحقيق ما يدعو اليه معاليه من نشر الثقافة الاجتماعية في جميع معاهد التعليم يمكن أن يضىء كذلك بطريقة لا أقول إنها كافية وحدها ، ولكن أقول إنها مساعدة وإنها لازمة ، هذه الطريقة هى أن ينظر بالمنظار الاجتماعى إلى برامج الدراسة في جميع المعاهد وشتى مراحل التعليم . وأن تعدل هذه البرامج في كل ما يمكن أن تعدل فيه ، حتى تتفق كل الاتفاق ، والصوره الاجتماعية المرغوب فى الوصول بمصر إليها .

وأما كيف ينظر إلى هذه البرامج بالمنظار الاجتماعى ، وكيف تعدل بحيث تكون كذلك فلعله أمر لا يغيب عن أذهان المسؤولين .

ونادى معاليه بأن تقوم هذه العدالة الاجتماعية أيضا على أساس إصلاح الأراضى البور البالغة مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ، حتى يجد فيها العديدون رزقا حلالا .

كما نادى بضرورة إيجاد اختصاصيين اجتماعيين فى جميع أنحاء البلاد وبضرورة الانتفاع فى ميدان الإصلاح الاجتماعى بأئمة المساجد و أذوى الشرع وشباب الأزهر ورجل الطرق الصوفية ، وبذلك يكون لاقتران الإرشاد الاجتماعى بقوة الدين تأثير عظيم ونتيجة مرضية .

وقال معاليه إنه إذا كان يرى أن الواجب يقضى بإنشاء أندية اجتماعية فى القرى والأحياء الوطنية ، فإنه يذكر أن هذا المشروع لا يكلف شيئا ماديا بل يتطلب مجهودا أدبيا فحسب . فالمدارس الإلزامية فى القرى والقهاوى البلدية فى لأحياء الوطنية فى أبنادر والمدن ، هى أمكنة هذه الأندية الاجتماعية ، ويجب أن يرسل إليها المرشدون الاجتماعيون .

وقد صحت عزيمة معاليه على تكليف بعض الأدباء بوضع قصص تاريخية ووطنية باللغة العامية تتلى فى القهاوى بالطريقة المعروفة فى تلاوة قصة الزير سالم وأبى زيد الهلالي .

وأبان معاليه فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية أن خطته تقوم على الانتفاع بكل أداة ولو كان يتورها نقص ، وقال إنه يرى لإنشاء مدارس اجتماعية فى المديرىات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ، ليكونوا مرشدين اجتماعيين فى وسعهم أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى أربعة آلاف قرية وفى خمسة وعشرين ألف عزبة ، وفى مقدورهم أن يوجهوا المجتمع المصرى وجهة جديدة .

هذا البرنامج الذى عرضه معالى الوزير فى كلمته بالقاهرة والاسكندرية ، يمكن أن يحقق عملا توجيها اجتماعيا جديدا فى وقت معقول . وبهذا بفضل هذا البرنامج كثير ما تسير عليه وزارة لشؤون الاجتماعية الآن من نظم عظيمة حقا — كما قال معاليه — لكنها بطيئة . فهى تعالج شؤون الفلاح — كمثل — عن طريق المراكز الاجتماعية ، وهذه تحتاج إلى ميزانية كبيرة وجهود عظيمة . فان الوزارة لم يتيسر لها حتى الآن أن تنشئ أكثر من ثمانية مراكز يقوم كل منها بخدمة عشرة آلاف نسمة ؛ وإذا سار الإصلاح فى هذا السبيل فحسب . وإذا ما استمر نصيب الإصلاح الاجتماعى فى ميزانية أدولة مثل ما هو عليه فحسب ، وجب أن تنقضى مئات السنين قبل التمكن من تعميم هذا التوجيه الجديد ، وقبل الوصول إلى نتائج إصلاحية عمالية شاملة .

كل هذه العوامل والوسائل التي أشار إليها معالي الوزير في برنامجه يمكن أن تكون جيشا كبيرا من المصلحين في مصر .

ومن المفيد كثيرا أن تشعر الدولة جنود هذا الجيش بأنهم يؤدون واجبا وطنيا عظيما ، وأنها تلمس قيمة هذا الواجب وتقدره ، فترفع من مستواهم ماديا وأدبيا معا ، وتطمئنهم على حالهم وأسرانهم ، وأغلبهم ممن يشكون كل يوم قلة أجورهم والغبن اللاحق بهم ... وعندها يمكن أن يكون من دؤلاء في مصر "جيش الخلاص" الذي أعلن معالي الوزير فكرته وبرنامجه والذي يرجو كل مخلص لو تم حشد هذا الجيش عاجلا ، على أساس سليم ، حتى تتجه الأمة — كقائمة واحدة — الى التشريع الاجتماعي الذي نادى به معالي الوزير ، والذي يقوم على أساس تحقيق العدالة الاجتماعية في مصر .

إن تشكيل جيش الخلاص في مصر ، اليوم ، في هذه الصورة الرسمية المنظمة ، أفضل كثيرا من أن يشكل غدا في غيرها من الصور ... ما

عماد الدين عبد الحميد

آلة الرياسة سعة الصدر .

ازبحر المسىء بثواب المحسن .

الطمع رق مؤبد .

من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع .

من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم .

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

إذا ازدحم الجواب خفى الصواب .

إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة .

كن وصى نفسك في مالك واعمل فيه ما وثر أن يعمل فيه من بعدك .